المبحث الثاني

المداخل الخداعة

المطلب الأول: الكِبر
المطلب الثاني: العُجْب
المطلب الثالث: الرياء

المطلب الأول: الكِبْر

مدخل إبليسي كبير يصيب أكثر الناس، وهو ذو أثر خطير في حياتهم، وعليهم أن يجاهدوا أنفسهم للتطهر منه بل وأن تصير لديهم حصانة ضده. ولكي نوضح أكثر هذا المدخل لزم تعريفه لفظة واصطلاحا:

التكبر لغةً: هو التعظيم، أي إظهار العظمة. قال صاحب اللسان: (والتكبر والاستكبار: التعظيم، ومنه قوله تعالى:چ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چچ[1] أي: انهم يرون انهم افضل الخلق وان من الحق ما ليس لغيرهم)[2].

واصطلاحاً: (هو الاسترواح والركون إلى رؤية النفس فوق الغير)[3]وعندما يظهر المتكبر إعجابه بنفسه يصل إلى صورة تجعله يحتقر الآخرين في أنفسهم وينال من ذواتهم ويترفع عن قبول الحق منهم.

وقيل: هو(اعتقاد المزية، وان كان في أدنى درجات الضعف، والتواضع عكسه. ولولا ذلك لما صح في العائل انه متكبر)[4].

وديننا الحنيف يحذرنا من الكبر والتكبر في كثير من ثنايا القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة.

قال تعالى: چې ئې ئى ئى ئە ى ى ي ي□ □ □ □ □ □ □ □ □چ[5].

وقال تعالى: چ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □چ[6].

وقال تعالى: چ ھ ہ ھ ھچ[7].

واما في السنة النبوية المشرفة، فعن عبد الله بن مسعود ڤ عن النبي ﷺ قال: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قال رجل: ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا؟ قال: (ان الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس)[1].

---

(1) سورة الأعراف، الآية (146).
(2) لسان العرب، ابن منظور/5: 130.
(3) إحياء علوم الدين، الغزالي/3: 344.
(4) قواعد التصوف، أبو العباس احمد بن احمد بن محمد الشهير بزروق، المطبعة العلمية، مصر، 1318هـ/63.
(5) سورة لقمان، الآية (18).
(6) سورة الإسراء، الآية (37).
(7) سورة النحل، الآية (23).

وعن حارثة بن وهب الخزاعي ڤ عن النبي ﷺ قال: (ألا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ لو أَقْسَمَ على اللَّهِ لَأَبَرَّهُ ألا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ)[2].

يفهم من هذه التعاريف الواضحة والآيات والأحاديث المحذرة من هذا الخلق الذميم انه شعور خادع بالاستعلاء والخيلاء، غير حقيقي في ذاته، مصحوب باحتقار الناس والترفع عليهم وكل هذا يبغضه الله سبحانه ورسوله ﷺ كما قال تعالى: ﭽ ڈ ڈ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﭼ[3] وما يظهر من أفعال ظاهرة لهم ليست إلا تعبيرات عن ما في بواطنهم السيئة.

وهنا قَسَّمَ الإمامُ أبو حامد الغزالي (رحمه الله) الكِبْر إلى باطن وظاهر حيث يقول: (فالباطن: خلق في النفس، والظاهر: اعمال تصدر عن الجوارح، واسم الكبر بالخلق الباطن احق، واما الاعمال: فإنها ثمرات لذلك الخلق، وخلق الكبر موجب للاعمال، ولذلك اذا ظهر على الجوارح يقال تكبر، واذا لم يظهر يقال: في نفسه كبر، ولا يتصور ان يكون متكبرا الا ان يكون مع غيره، وهو يرى نفسه فوق الغير في صفات الكمال)[4].

لذلك تظهر في تصرفات المتكبر هذه الأخلاق وفي صوته وطريقته في الكلام بل حتى في حركاته وتصرفاته ومشيه امام الناس، ليوهم الناس انه ذو عزة عالية وشرف رفيع، وما أقنعه بكل هذا إلا الشيطان والفرق بين التكبر والعزة واضح اذ التكبر ترفع بالباطل، والعزة ترفع بالحق. والتكبر: نكران النعمة وجحودها، والترفع اعتراف النعمة وتحدث بها على نحو ما تضمنه الشرع المبارك.

قال الإمام المقدسي: (التكبر خلق باطن يصدر عن أعمال هي ثمرته، يظهر على الجوارح، وذلك الخلق هو رؤية النفس على المتكبر عليه، بمعنى يرى نفسه فوق الغير في صفات الكمال، فعند ذلك يكون متكبرا)[5].

وعن الرسول ﷺ انه قال: (يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذّر في صورة الرجال يغشاهم الذل من كل مكان....)[6].

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله: (من كانت معصيته في شهوة، فأرج له التوبة فان ادم-ﻍ- عصى مشتهيا فغفر له، فإذا كانت معصيته من كبر، فاخش عليه اللعنة، فان إبليس عصى مستكبراً فلعن)[7].

حيث سقط ابليس ابو الشياطين بهذه الصفة الذميمة، فقد كان عابدا زاهدا، بلغ به الحد في الطاعة والعبادة ان سمي طاووس الملائكة، ومن هذه النقطة بالذات دخل العجب بنفسه والتكبر على غيره، وهذا ما يقرره الحق سبحانه في غير آية في كتاب الله تعالى: ﭽ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﭼ[8].

---

(1) صحيح مسلم/1: 93 برقم 91 باب تحريم الكبر وبيانه.
(2) صحيح البخاري، الإمام البخاري/4: 1870 برقم 4634 باب (عتل بعد ذلك زنيم).
(3) سورة غافر، الآية (56).
(4) إحياء علوم الدين، الغزالي/3: 343.
(5) مختصر منهاج القاصرين، ابن قدامة المقدسي/547.
(6) سنن الترمذي، الترمذي/4: 2492 كتاب صفة القيامة والجنة والنار
(7) مختصر منهاج القاصرين، ابن قدامة المقدسي/546.
(8) سورة البقرة، الآية (34).

وقد صرح إبليس بالاستكبار فقال تعالى على لسانه: **چ ئه ئه ئو ئوئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې چ**[1].

وقد وضح ابن قيم الجوزية ارتباط الكفر بالتكبر والاستكبار في بيان كلامه عن أقسام الكفر حيث جعل كفر الكبر واحدا منها.

فيقال: (اما الكفر الاكبر فهو خمسة أنواع: كفر تكذيب، كفر استكبار وإباء وكفر اعراض، وكفر شك، وكفر نفاق... وأما كفر الإباء والاستكبار فهو كفر إبليس فانه لم يحجد امر الله ولا قابله بالانكار، وانما تلقاه بالإباء و الاستكبار ومن هذا كفر من عرف صدق رسول اللهﷺ وانه جاء بالحق من عند الله ولم ينصع له اباءا واستكبارا)[2].

حيث اكتسب اتباع ابليس من شياطين الجن والانس هذه الصفة المقيتة فحملتهم على القبائح ابتداءً بالكفر ومروراً بالاغترار بالنفس حتى يصلوا الى الضلال المفضي الى الكفر.

وعندما نلقي نظرة على أسباب الكفر في الحياة الدنيا، نجد أن أغلب هذه الأسباب يعود إلى الكبر والتعالي على شرع الرحمن عز وجل رغم أن النفوس قد استيقنت الحق لكنها تعالت واستكبرت استكبارا، وتختلف أسباب الكبر حسب الحالات الآتية:

فقد يكون التكبر بالعلم وهذا ما يحصل مع العلماء الذين تلاعب بهم الشيطان وقد يكون سببه العبادة والزهادة حيث يرى بعض العابدين أنهم خير من الناس وأفضل بالعبادة، وهذه طامة أخرى.

وقد يكون سببه الحسب والنسب والافتخار بالمسميات، كما يوجد هذا الأمر في الكثير من الأشراف وذوي النسب العريق.

وقد يكون التكبر بالجمال وهو في النساء كثير جدا، ومن أسباب التكبر كثرة الأموال والاعتزاز بها وهذه فتنة الأغنياء وأصحاب النفوذ ويكون سبب التكبر أحيانا الافتخار بالقوة وهو في الأصحاء والأقوياء كل هذه العوامل تبعث على الاغترار بأمر زائل لا محالة، لذلك فان المتكبر يخدع نفسه ويظلم ويخسر دينه ودنياه وآخرته.

الحماية من الكبر والاستكبار:

لما كان الكبر قبيحا جدا كما تبين لنا في هذا المطلب، وانه يوصل المتكبر إلى الهاوية لا محالة، كان لزاما أن يجد كل إنسان مؤمن السلاح القوي الذي يدافع به عن نفسه ليزيله عن قلبه وجوارحه وهو كما يلي:

الأول: في استئصال أصله وقطع شجرته:

(وذلك بأن يعرف الإنسان نفسه ويعرف ربه، فإنه إذا عرف نفسه حق المعرفة علم انه أذل من كل ذليل، ويكفيه أن ينظر في أصل وجوده بعد العدم من تراب ثم من نطفة خرجت من مخرج البول، ثم علقة، ثم مضغة، فقد صار شيئا مذكورا، بعد أن كان جمادا لا

(1) سورة ص، الآية (76).
(2) مدارج السالكين، ابن القيم الجوزية/1: 337 بتصرف.

يسمع ولا يبصر، ولا يحس، ولا يتحرك، فقد ابتدأ بموته قبل حياته، وبضعفه قبل قوته، وبفقره قبل غناه)[1]. فاستحضار البداية من النطفة، واستحضار النهاية في الحفرة الظلماء واستشعار ضعفه وخوفه وجوعه لولا الله الخالق العظيم، كل هذا يمنع الإنسان من أن يرتدي ثوب الكبرياء والعظمة.

ثانيا: الانسلاخ من صحبة المتكبرين.

إذا رأى المؤمن أصحابه من أهل التكبر وكبر النفس وفسادها. فسلاحه الوحيد هو الهرب بنفسه من هذه الصحبة؛ لأنها تورثه طبائعهم وأخلاقهم، بل ويتخلق باخلاقهم حتى يكون متكبرا على الناس جاحداً فضل الله عليه، فليس هناك ما يميز هذا العبد عن غيره، سوى التقوى.

قال تعالى: ﭽ ﭽ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊﭼ[2].

الثالث: مجالسة ضعاف المسلمين وفقرائهم

ويهتم بذوي العاهات منهم، ويأكل ويشرب معهم، كما كان يصنع الرسول ﷺ، فإن الفقراء هم أهل الخير (وقد تكتسب الأخلاق الحسنة بمصاحبة أهل الخير، فان الطبع لص يسرق الخير والشر)[3].

رابعا: النظر في سير واخبار المتكبرين

كيف كانوا، والى أي شيء صاروا؟ من إبليس والنمرود الى فرعون، الى هامان وقارون وابي جهل الى كل الجبابرة والمتكبرين في كل العصور، فان ذلك مما يخوف النفس ويحملها على التوبة والاقلاع عن التكبر وأخلاق المتكبرين خشية أن تصير إلى نفس المصير.

خامسا: حضور مجالس الذكر والعلم

فان الذكر يطيب القلب ويريح النفس قال تعالى: ﭽ   ﭼ[4].

وكذلك حضور دروس العلم التي يقوم عليها علماء ربانيون متواضعون فلا يزال المؤمن يراقب تواضعهم حتى يرق قلبه ويلين لمحبة الله تعالى وللتواضع لخلقه أجمعين.

المطلب الثاني: العُجْب

العُجْب-بالضم-لغة: (الزهو)[5]

---

(1) مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي/555.
(2) سورة الحجرات، الآية (13).
(3) مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي/368.
(4) سورة الرعد، الآية (28).
(5) القاموس المحيط، الفيروزآبادي/1: 144.

وفي الاصطلاح: (استعاظام النفس وخصالها التي هي من النعم، والركون اليها مع إضافتها إلى المنعم والأمن من زوالها)(1).

ويرتبط العُجْب بالكبر، فالإعجاب يكون في العمل، والكبر يكون في النفس وكلاهما خلق مذموم.في القران والسنة:

حيث ذم الله تبارك تعالى الكفار ونعتهم بقوله عز وجل: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﭼ(2).

واخبر عن قوم عاد قولهم: ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒﭼ(3).

ونعت اليهود بالعُجْب بحصونهم فقال تعالى: ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﭼ(4).

فهذا بيان من الله تعالى يدل على عقوبة وعذاب من أعجبته نفسه وطغى وتعدى حدوده، فليس الإنسان يفعل ذلك أبدا.

فعن أبي هريرة ﭬ عن النبي ﷺ قال: (بينما رجل يمشي قد أعجبته جعبته وبراده، إذ خسف به الأرض، فهو يتجلجل في الأرض حتى تقوم الساعة)(5).

فكل هذا العقاب بسبب الفرح بالنفس الذي يصنعه إبليس اللعين، فيصدر عنها من الأقوال والأعمال ما يتجاوز به حق الله وحق العباد فان كان هناك تعدٍ أو تجاوز على الآخرين من الناس عمدا باحتقارهم واستصغارهم فهو الغرور أو شدة الإعجاب وهو ما نهانا الله عزَّ وجل عنه وحذرنا من سوء عاقبة هذه الأعمال القبيحة.

والعجب وسوسة من الشيطان لا يقتصر على أن يجعل المعجب بنفسه داخل نطاق بيته فحسب بل تتعدى الوساوس لتبني للمعجب بنفسه حرصاً من الخيال، وهو في نفس الوقت يجمع ويكثر من أسباب عجبه فمن أسباب وأنواع العجب: (العجب بالبدن والجسم والصحة والقوة والبطش، وهي في حقيقتها نعمة أسبغها الله عليه مع العيوب التي فيه، ومتى شاء الله تعالى سلبها منه بأدنى آفة يسلطها عليه)(6).

(ومن العجائب ان يعجب العاقل بعلمه وعقله حتى يتعجب ان افقره الله تعالى وأغنى بعض الجهال، ويقول: كيف وسع النعمة على الجاهل وحرمني فيقال له: كيف رزقك العلم والعقل وحرمها الجاهل؟ فهذه عطية منه فجعلها سببا لاستحقاق عطية أخرى)(7).

والحقيقة لو فكر هذا العاقل فيما لو ابتلاه الله بمرض في دماغه لجن عَقْلُهُ وطار لبه، وذهب فكرة، فالأولى حمد الله تعالى على العافية وشكره على النعمة وليس التبجح والعجب امام الناس.

---

(1) الأربعين في أصول الدين، الغزالي/152.
(2) سورة الكهف، الآية (104)
(3) سورة فصلت، الآية (15).
(4) سورة الحشر، الآية (2).
(5) صحيح مسلم، الإمام مسلم/3: 1653 برقم 2088 باب تحريم التبختر.
(6) إحياء علوم الدين، الغزالي/3: 371 بتصرف.
(7) الأربعين في أصول الدين، الغزالي/154.

ومن الناس من يعجب بنسبه ويظن أنه ناج لا محالة، أليس هو ابن فلان المنسب الى السلالة الفلانية الكريمة؟ فليعلم هذا الغافل ان من أبطأ به عمله لم يُسرع به نسبه، وان النبي ﷺ نادى اقرب الناس إليه قائلا: (يا فاطمة بنت رسول الله سليني بما شِئت لا اغني عنك من الله شيئاً)[1].

ومن الناس من يعجب بكثرة اولاده واهله وعشيرته، ويكفيه قوله تعالى: چ ئى ئى ى ى ي ي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ[2]فأي عجب بمن يتركك في اشد أحوالك، ويهرب منك في أحرج الأوقات.

الحماية من العجب:

وما دمنا قد وقفنا على أسباب حقيقة العجب فان من السهل إن شاء الله تعالى معرفة كيف يحمي المؤمن نفسه من هذا المدخل الشيطاني ويقي نفسه شره بما يلي:

الاول: علاج كل علة بمقابلة سببها الباعث عليها.

قال الغزالي: (والعُجب جهل محض، فعلاجه العلم المحض، فإن أعجب بقوة وجمال أو أمر ليس يتعلق باختياره فهو جهل ايضا، اذ ليس ذلك اليه فينبغي ان يعجب بمن أعطاه ذلك من غير استحقاق، وينبغي ان يتفكر في زوال ذلك المخوف على القرب بأدنى مرض وضعف، وان أعجب بعلمه وعمله وما يدخل تحت اختياره فينبغي ان يتفكر في تلك الأعمال، بماذا تيسرت له؟ وانها لا تتيسر إلا بعفو وقدرة وإرادة ومعرفة وان جميع ذلك من خلق الله عز وجل)[3].

الثاني: اتهام الرأي وتحكيم رأي الشرع

قال المقدسي: (ومن ذلك العجب بالرأي الخطأ، كما قال الله تعالى: چ ڑ ک ک ک ک گ گ چ[4] وعلاج هذا اشد من علاج غيره فان هذا متى كان معجبا برايه لم يصغ الى نصح ناصح، وإنما علاجه في الجملة ان يكون متهما لرأيه أبدا، ولا يغتر به الا ان يشهد له قاطع من كتاب او سنة او دليل عقلي جامع لشروط الأدلة، ولذا لا يعرف ذلك الا بمجالسة اهل العلم وممارسة الكتاب والسنة)[5].

ثالثا: التذكير بحقيقة النفس الإنسانية

وذلك بأن يفهم المعجب بنفسه أنَّ نفسه التي بين جنبيه لولا ما فيها من النفخة الإلهية ما كانت شيئا، فقد خلقك من تراب تدوسه الأقدام، ثم من ماء مهين يأنف الناظر من رؤيته، وسترد إلى هذا التراب مرة أخرى، فتصير جيفة نتنة، يفر الخلق كلهم من رائحتها، وهي بين

---

(1) صحيح مسلم، الإمام مسلم/3: 1012 برقم 206 باب قوله تعالى(وانذر عشيرتك الأقربين).
(2) سورة عبس، الآيات (34- 37).
(3) الأربعين في أصول الدين، الغزالي/153.
(4) سورة فاطر، الآية (8).
(5) مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي/566.

البدء والإعادة تجمل في بطنها العذرة أي الفضلات ولا تستريح ولا تهدا الا اذا خلصت من هذه الفضلات، فلم العُجب وعلى ماذا؟!

رابعا: التذكير دائما بحقيقة الدنيا والآخرة

لذلك بان يعرف المعجب بنفسه ان الدنيا مزرعة الآخرة، وانه مهما طال عمرها فإنها إلى زوال، وان الآخرة إنما هي الباقية، وإنها هي دار القرار، إذ أن مثل هذا التذكر يحمل الإنسان على أن يعدل من سلوكه ويقوم اعوجاج نفسه، قبل أن تنتهي الحياة، وقبل ان تضيع فرصة ويفوت الأوان.

إن مثل هذه الأعمال الصحيحة التي هي بمثابة أسلحة إيمانية لمقاومة الهجمات الشيطانية، كلها تساعد على ردع النفس، وردها عن غيها واقتلاع داء الإعجاب منها وحمايتها من التورط فيه مرة أخرى.

المطلب الثالث: الرياء

إن الرياء مدخل خسيس من المداخل التي يلج منها الشيطان قلب الإنسان، لذلك يجب على المؤمن الذي يريد الله والدار الآخرة أن يمحص ما في قلبه، فإن وجد قلبه يخلص لغير الرب الكريم سارع بعلاجه وحمايته من همزات الشيطان التي تصرف العبد عن الله تعالى حتى لا يقع في الرياء.

والرياء لغةً: (يأتي من باب المفاعلة، تقول: رأيته مراءاة ورئاء: وهو بمعنى أريته خلاف ما أنا عليه)[1].

واصطلاحا: قال الجرجاني: (هو ترك الإخلاص في العمل بملاحظة غير الله فيه)[2].

وقد ورد ذم الرياء في الكتاب والسنة من ذلك قال تعالى: **ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅﭼ**[3]. ووصف الرب الجليل الرياء بانه محبط للعمل بقوله تعالى: **ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥﭼ**[4].وقرنه بالشرك قائلا: ﭽ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ[5].

ولما كان الرياء هو التفات القلب لغير الله وترك مراعاة الخالق مع مراعاة المخلوقين سمي شركاً أصغرا.

فعن ابي هريرة ﭬ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إِنَّ أَوَّلَ الناس يُقْضَى يوم الْقِيَامَةِ عليه رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قال فما عَمِلْتَ فيها قال قَاتَلْتُ فِيكَ حتى اسْتُشْهِدْتُ قال كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ على وَجْهِهِ حتى أُلْقِيَ في النَّارِ وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قال فما عَمِلْتَ

---

(1) القاموس المحيط، الفيروزآبادي/1: 1658.

(2) التعريفات، الجرجاني/151.

(3) سورة الماعون، الآيات (4-6).

(4) سورة البقرة، الآية (264).

(5) سورة الكهف، الآية (110).

فيها قال تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ قال كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هو قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ على وَجْهِهِ حتى أُلْقِيَ في النَّارِ وَرَجُلٌ وَسَّعَ الله عليه وَأَعْطَاهُ من أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قال فما عَمِلْتَ فيها قال ما تَرَكْتُ من سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فيها إلا أَنْفَقْتُ فيها لك قال كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هو جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ على وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ في النَّارِ)[1].

ويقول ﷺ: (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر. قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء. يقول عز وجل اذا اجزي الناس اعمالهم: اذهبوا الى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟)[2].

وهذا بيان من الرب الكريم ومن النبي ﷺ بان الله تعالى مطلع على القلوب، فلماذا نترك من يرانا ونسير خلف وساوس شيطان الذي يصد عن الله عز وجل. ويحبط عمل العاملين ويذهب اجر العابدين.

إنما العلم والعمل والإخلاص نصيب العارفين الذين انتصروا وعلى شياطين وفازوا برضا رب العالمين.

قال الفضل بن عياض رحمه الله: (ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما)[3].

والشيطان يستخدم الرياء من جميع مداخله ليوهن المسلم ويوقعه ويسيطر عليه في إشغاله وقطع صلته عن الله تبارك وتعالى لذلك فأنواع الرياء كثيرة منها عام: (وهو أن يريد بعمل الآخرة نفع الدنيا من حيث لا نية في طلب ثواب الآخرة)[4].

وهذا الرياء يدخل فيه الشرك كثيراً فأقل ما فيه إشراك بالله تعالى (فمن الناس من يظهر انه يعبد الله تعالى، وهو في ذاته لا يرغب في ثواب الله ولا يخاف عقابه ويسر في نفسه العبادة لغير الله)[5].

ولو انه انفرد بنفسه لم يفعل تلك الطاعة أبدا، وهذا هو ما مقته الباري عز وجل ويتفرع منه جانبان.

الجانب الأول: الرياء بأصل الإيمان:

حيث يظهر الإيمان والإسلام ويبطن الكفر والتكذيب للدين الحنيف وهذا هو النفاق

---

(1) صحيح مسلم، الإمام مسلم/3: 1513-1514 برقم (1905) باب من قاتل للرياء والسمعة واستحق النار.
(2) المعجم الكبير، الطبراني/4: 253 برقم 4301.
(3) مدارج السالكين، ابن القيم الجوزية/2: 91.
(4) سراج القلوب في علاج الذنوب، أبو علي زين الدين المعبري، مطبوع بهامش قوت القلوب، الطبعة الميمنية، مصر، 13.6هـ/1: 169.
(5) المسائل في أعمال القلوب والجوارح، الحارث المحاسيبي/64.

الذي كره الله قائلا: **چ ڈ ڈ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ں ٹ ٹچ**[1].

قال تعالى: چ ڈ ڈ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ں ٹ ٹچ[2].

الجانب الثاني: الرياء بأصل العبادات:

(كمن يصلي ويخرج الزكاة بين يدي الناس والله يعلم من باطنه انه لو خلا لنفسه لم يفعل ذلك)[3].

الجانب الثالث: وهو أدناها:

(ألا يرائي بالفرائض ويرائي بالنوافل كالذي يكثر النافلة، ويحسن هيئة الفريضة، ويخرج الزكاة من أجود ماله أو يتهجد ويصوم يوم عرفه وعاشوراء والله يعلم من باطنه انه خلا بنفسه لم يفعل شيئا من ذلك وهذا أيضاً حرام)[4].

فالشيطان يدعو إلى ترك العمل، فإن عجز أَخَذَ يَعدو إلى الرياء في العمل فان وجد الإخلاص في الرياء، وسوس في القلب على ان هذا العمل خالصٌ لوجه الله تعالى، وانه عمل ضائع، حتى يصل الى ترك العمل وهذا حال الشيطان الرجيم العدو المبين.

يقول الغزالي: (والمتخلصون عن الرياء في رفع خواطر الرياء على أربع مراتب:

الأولى: أن يرده على الشيطان ويكذبه ولا يقتصر عليه بل يشتغل بمجادلته ويطيل الجدال معه لظنه أنَّ ذلك اسلم لقلبه.

الثانية: أن يعرف أنَّ الجدال والقتال نقصان في السلوك فيقتصر على تكذيبه ولا يشتغل بمجادلته.

والثالثة: ألاَّ يشتغل بتكذيبه؛ لأن ذلك وقفة وإن قلت، بل يكون قد قرر في عقد ضميره كراهة الرياء وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستصحبا للكراهية غير مشتغل بالتكذيب ولا بالمخاصمة)[5].

وأما الحالة الأخيرة فهي للأقوياء حيث يستوى نزع الشيطان وعدمه لانه مع الله تعالى دائما بل انه كلما وسوس الشيطان زاد فيه التقوى وهي كما يقول الغزالي: (أن يكون قد علم ان الشيطان يحسده فيعزم على انه كلما نزغ الشيطان زاد هو في الإخلاص والاشتغال بالله وإخفاء الصدقة والعبادة غيضا للشيطان)[6].(ولا يزال أهل الحقيقة خائفين من الرياء،

---

(1) سورة المنافقون، الآية(1).

(2) سورة النساء، الآية (45).

(3) الأربعين في أصول الدين، الإمام الغزالي/160.

(4) المصدر نفسه/160.

(5) إحياء علوم الدين، الغزالي/3: 314.

(6) المصدر نفسه/3: 314.

ويجتهدون في مجاهدة الشيطان ويجتهدون في مخادعة الناس عن أعمالهم الصالحة، ويحرصون على خفائها أعظم ما يحرص الناس على إخفاء فواحشهم)[1].

ويروى عن الفضل بن غزوان انه قيل له: إن فلانا يذكرك؛ أي بسوء، فقال: (والله لأغيضن من امر. قيل: ومن أمره؟ قال: الشيطان. ثم قال: اللهم اغفر له)[2].

وقال ثابت البناني رحمه الله: (دخلت على داود الطائي فقال لي: ما حاجتك؟ قلت زيارتك، قال: ومن أنا حتى أزار؟: لستُ من العُبَّاد أنا لا والله، ولا من الزهاد لا والله، ثم ضرب بيده على لحيته واقبل على نفسه يوبخا وقال: كنت في زمن الشباب فاسقا ثم تبت فصرت مرائيا، والله ان المرائي لشر من الفاسق)[3].

وعن أبي العباس المرسي رحمه الله قوله: (من أراد الظهور فهو عبد الظهور ومن أراد الخفاء فهو عبد الخفاء، وعبد الله سواء عليه أظهره أو أخفاه)[4].

فإذا عرف الشيطان من هؤلاء العباد كل هذه القوة والإيمان الثابت فمن أي باب يستطيع أن يدخل عليهم، وقد تحصنوا بالحي القيوم جل جلاله.

وكلما عاد الشيطان ليصنع الرياء في قلب المؤمن الصادق ازداد المؤمن خيراً وهمةً وإيمانا، حتى يهرب الشيطان؛ لأنه ضعيف وهزيل لا يقاوم همة الأبطال وجهاد الفرسان وشجاعة المؤمنين. فيعود مخذولاً محسورا.

الحماية من الرياء

يحمي المؤمن نفسه من الرياء عن طريق معرفة الأسباب الباعثة عليه والعمل ضدها كما يلي:

أولاً: تذكر عواقب الرياء أو السمعة الدنيوية والأخروية، كمن أحب أن يمدحه الناس في أي فعل يفعله أمامهم فالواجب (أن يعلم أن مدح الناس له كمال وهمي لا حقيقة له، وعلاجه في الرياء خاصة أن يقرر على نفسه ما فيه من الضرر، فان العَسل وان كان لذيذاً، فإذا علم أن فيه سُمَّاً سهل تركه، ومن طلب رضى الناس سخط الله تعالى وأسخطهم عليه، فكيف يترك رضى الله بما لا يطمع في حصوله)[5].

ثانيا: مجاهدة النفس، حتى تهذب من الغرائز التي تملي على الإنسان الرياء وإخفاء أعمال الخير حتى تكون بين المؤمن وربه فقط.

قال الغزالي: (أن تخفي عبادتك كما تخفي فواحشك، وإخفاء العبادة إنما يشق في البداية، فإذا صار عادة ألف الطبع لذة المناجاة في الخلوة)[6].

---

(1) المصدر نفسه/3: 314.
(2) المصدر نفسه/3: 314.
(3) غرر الخصائص الواضحة، ابو اسحاق الكتبي/28.
(4) قواعد التصوف، الشيخ زروق/62.
(5) الأربعين في أصول الدين، الغزالي/164.
(6) المصدر السابق/165.

ثالثا: مجاهدة الشيطان.

فإنَّهُ السلاح الأجدى والأنفع لنزغات الشيطان، وقال الثوري: (إذا جاء الشيطان في الصلاة فقال: انك مراء فزده طولا، ويقال الشيطان كالكلب إن اشتغلت بمقاومته مزق الاهاب وقطع الثياب، وان رجعت الى ربه صرفه عنك برفق)[1].

رابعا: اللجوء التام الى الله، والاستعانة به، فإنَّ مَن لَجأ إلى الله واستعان به وكان صادقا في ذلك تخلص من الرياء وأيده الله وأعانه بقوة الإيمان.

خامسا: دوام النظر في النصوص المرغبة في الإخلاص، والمحذرة من الرياء، فسلاح العلم خير من الجهل في قمع هذا الخلق الذميم. والحمد لله رب العالمين.

(1) قواعد التصوف، الشيخ زروق/62.